قوله 171 - { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم } الغلو : هو التجاوز في الحد ومنه غلا السعر يغلو غلاء وغلا الرجل في الأمر غلوا وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لداتها والمراد بالآية النهي لهم عن الإفراط تارة والتفريط أخرى فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه ربا ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة وما أحسن قول الشاعر : .

(ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم) .

{ ولا تقولوا على ا إلا الحق } وهو ما وصف به نفسه ووصفته به رسله ولا تقولوا الباطل كقول اليهود عزير ابن ا وقول النصارى : المسيح ابن ا { إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول ا } المسيح مبتدأ وعيسى بدل منه وابن مريم صفة لعيسى ورسول ا الخبر ويجوز أن يكون عيسى ابن مريم عطف بيان والجملة تعليل للنهي وقد تقدم الكلام على المسيح في آل عمران قوله { وكلمته } عطف على رسول ا و { ألقاها إلى مريم } حال أي كونه بقوله كن فكان بشرا من غير أب وقيل { كلمته } بشارة ا مريم ورسالته إليها على لسان جبرين بقوله { إذ قالت الملائكة يا مريم إن ا يبشرك بكلمة منه } وقيل : الكلمة ها هنا بمعنى الآية ومنه { وصدقت بكلمات ربها } وقوله { ما نفدت كلمات ا } قوله { وروح منه } أي : يرسل جبريل فنفخ في درع مريم فحملت بإذن ا وهذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى وقيل : قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحا ويضاف إلى ا فيقال هذا روح من ا : أي من خلقه كما يقال في النعمة إنها من ا وقيل { روح منه } أي : من خلقه كما قال تعالى { وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه } أي : من خلقه وقيل { روح منه } أي : رحمة منه وقيل { روح منه } أي : برهان منه وكان عيسى برهانا وحجة على قومه وقوله { منه } متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أي : كائنة منه وجعلت الروح منه سبحانه وإن كانت بنفخ جبريل لكونه تعالى الآمر لجبريل بالنفخ { فآمنوا با ورسله } أي : بأنه سبحانه إله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وبأن رسله صادقون مبلغون عن ا ما أمرهم بتبليغه ولا تكذبوهم ولا تغلوا فيهم فتجعلوا بعضهم آلهة قوله { ولا تقولوا ثلاثة } ارتفاع ثلاثة على أنه خبر مبتدأ محذوف قال الزجاج : أي لا تقولوا آلهتنا ثلاثة وقال الفراء وأبو عبيد : أي لا تقولوا هم ثلاثة كقوله { سيقولون ثلاثة } وقال أبو علي الفارسي : لا تقولوا هو ثالث ثلاثة فحذف المبتدأ والمضاف والنصارى مع تفرق مذاهبهم متفقون على التثليث ويعنون بالثلاثة الثلاثة الأقانيم فيجعلونه سبحانه جوهرا واحدا وله ثلاثة أقانيم

ويعنون بالأقانيم أقنوم الوجود وأقنوم الحياة وأقنوم العلم وربما يعبرون عن الأقانيم بالآب والابن وروح القدس فيعنون بالأب الوجود وبالروح الحياة وبالابن المسيح وقيل : المراد بالآلهة الثلاثة : ا سبحانه وتعالى ومريم والمسيح وقد اختبط النصارى في هذا اختباطا طويلا .

ووقفنا في الأناجيل الأربعة التي يطلق عليها عندهم اسم الإنجيل على اختلاف كثير في عيسى : فتارة يوصف بأنه ابن الإنسان وتارة يوصف بأنه ابن ا وتارة يوصف بأنه ابن الرب وهذا تناقض ظاهر وتلاعب بالدين والحق ما أخبرنا ا به في القرآن وما خالفه في التوراة والإنجيل أو الزبور فهو من تحريف المحرفين وتلاعب المتلاعبين ومن أعجب ما رأيناه أن الأناجيل الأربعة كل واحد منها منسوب إلى واحد من أصحاب عيسى عليه السلام .

وحاصل ما فيها جميعا أن كل واحد من هؤلاء الأربعة ذكر سيرة عيسى من عند أن بعثه ا إلى أن رفعه إليه وذكر ما جرى له من المعجزات والمراجعات لليهود ونحوهم فاختلفت ألفاظهم واتفقت معانيها وقد يزيد بعضهم على بعض بحسب ما يقتضيه الحفظ والضبط وذكر ما قاله عيسى وما قيل له وليس فيها من كلام ا سبحانه شيء ولا أنزل على عيسى من عنده كتابا بل كان عيسى عليه السلام يحتج عليهم بما في التوراة ويذكر أنه لم يأت بما يخالفها وهكذا الزبور فإنه من أوله إلى آخره من كلام داود عليه السلام وكلام ا أصدق وكتابه أحق وقد أخبرنا أن الانجيل كتابه ينزله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم وأن الزبور كتابه آتاه داود وأنزله عليه قوله { انتهوا خيرا لكم } أي : انتهوا عن التثليث وانتصاب خيرا هنا فيه الوجوه الثلاثة التي تقدمت في قوله { فآمنوا خيرا لكم } { إنما ا إله واحد } لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد { سبحانه أن يكون له ولد } أي : أسبحه تسبيحا عن أن يكون له ولد { له ما في السموات وما في الأرض } وما جعلتمون له شريكا أو ولدا هو من جملة ذلك والمملوك المخلوق لا يكون شريكا ولا ولدا { وكفى با وكيلا } بكل الخلق أمورهم إليه ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا .

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : [دخل جماعة من اليهود على رسول ا A فقال لهم : إني وا أعلم أنكم تعلمون أني رسول ا قالوا : ما نعلم ذلك فأنزل ا { لكن ا يشهد } الآية] وأخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي موسى أن النجاشي قال لجعفر : ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول ا هو روح ا وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر فتناول عودا من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه وأخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود بأطول من هذا وأخرج البخاري عن عمر قال : قال رسول ا A : [لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم

فإنما أنا عبد فقولوا عبد ا ورسوله]